المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
وحدة خدمة المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

# حقائق القرآن المرغبة بالإنفاق

د. طلال بن سليمان الدوسري
قسم الفقه

٧/ ٩/ ١٤٤١هـ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

فقد جعل الله المال قياماً للناس في مصالحهم ومعاشهم، وجعل بذله في سبيله –سبحانه– قرين بذل النفس في كتابه! بل قدمه عليها في جميع المواضع سوى آية التوبة.

وقد تكرر الحديث في القرآن عن الإنفاق والصدقة في أكثر من مئة موضع، بين الحث والترغيب عليها، والثناء على أهلها، وبيان مصارفها، إلى غير ذلك.

وإنه لا شيء يحفز المؤمن على الصدقة والإنفاق والبذل في شتى وجوه الخير مثل النظر في كتاب الله سبحانه، وما تضمنه من أوجه في الترغيب على النفقة، وإنه لحري بمن تدبر ذلك واستشعر ما حواه من حقائق: أن يقبل على بذل المال في شتى أوجه الخير، وأن تتطهر نفسه من الشح والبخل...

وفيما يلي جُمَلٌ من حقائق القرآن المرغبة على إنفاق المال في سبيل الله، علّ التذكير بها يحمل النفوس على الجود والبذل، خاصة ونحن في شهر الجود ومضاعفة الحسنات.

## الحقيقة الأولى: مضاعفة أجر النفقة إلى سبع مئة ضعف وأكثر!

قال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)} [البقرة: ٢٦١]

إنها لمضاعفة كبيرة لا مثيل لها ولا لعشر عشرها في الدنيا الزائلة! وإن من أيقنت نفسه بتلك الحقيقة واستشعرتها: كان حرياً به أن يجود بالمال في شتى أوجه الخير.

**الحقيقة الثانية: كون المنفق مقرض لله تعالى بنفقته.**

قال الله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد: ١١]

وقال سبحانه: {وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [المزمل: ٢٠]

ولو كان المستقرض تاجراً كبيراً لكان المستطيع مبادراً إلى إقراضه؛ ليقينه بحسن وفائه، فكيف لمن قرأ وسمع استقراض ربه له أن يحجم عن بذل المال فيما يحب! مع يقينة بالمضاعفة من الله كما في الحقيقة السابقة.

**الحقيقة الثالثة: كون المنفق إنما يقدم بنفقته لنفسه في حقيقة الأمر.**

فالمنفق إنما ينفع نفسه ويقدم لها بالصدقة قبل أن ينفع المحتاج!، وهو أحوج إلى أجر نفقته من المحتاج إلى نفقته! فهل نستشعر ذلك؟!

وقد تكرر ذكر هذه الحقيقة في القرآن في سياق الأمر والترغيب بالإنفاق.

قال الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)} [البقرة: ١١٠]

وقال سبحانه: {وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)} [المزمل: ٢٠]

وقال جل وعلا: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)} [البقرة: ٢٧٢]

وقال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)} [التغابن: ١٦]

ومعرفة تلك الحقيقة واستشعارها كما أنه من أعظم ما يرغب بالصدقة فإنه كذلك: من أعظم ما يدفع عن المنفق العجب بعمله، أو المنة بنفقته.

**الحقيقة الرابعة: كون البخيل عن الإنفاق إنما يبخل عن نفسه بحرمانها الأجر والثواب.**

فإذا حمل البخلُ المرءَ على الشح بماله عن بذله في سبيل الله فلْيعلم: أنه بذلك يبخل على نفسه بحرمانها الأجر والثواب!

ومعرفة تلك الحقيقة واستشعارها من أعظم ما يحفز على الصدقة ويدفع عن النفس الشح والبخل.

قال تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) } [محمد: ٣٨]

وما سبق هو أحد معاني قوله: (يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ)

**الحقيقة الخامسة: أن المنفق إنما يُنفق في الحقيقة من مال الله الذي جعل الناس يخلف فيه بعضهم بعضا.**

ومن أدرك كونه كالخازن للمال الذي ليس له إلا إنفاذ أمر صاحبه: حمله ذلك على بذل المال فيما أمره به ربه سبحانه.

قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)} [الحديد: ٧].

**الحقيقة السادسة: أن المنفق إنما يُنفق من رزق الله سبحانه له.**

قال سبحانه في معرض الثناء على الصالحين من عبادة: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)} [البقرة: ٣]، وجاءت في خمسة مواضع أخرى.

وتأمل كيف قدم الله سبحانه الرزق منه على الإنفاق منهم، إشعاراً بعظيم المنة عليهم وأن الفضل له عليهم أولاً وآخراً! في هذه المواضع الستة وغيرها من القرآن!

وإدراك المنفق تلك الحقيقة واستشعاره لها: من أعظم ما يحمله على الإنفاق؛ إذ كيف يمتنع عن إنفاذ أمر الذي رزقه المال –سبحانه– فيه! هذا بالإضافة في الحقيقة السابقة.

**الحقيقة السابعة: أن ما يملكه المرء من مال سيزول ملكه عنه يوماً ويؤول إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى.**

قال الله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد: ١٠].

فمن أيقن أن ملكه مهما اتسع وطال زائل لا محالة: كان حرياً به أن يبادر بالإنفاق منه قبل أن يخرج عن ملكه، ولا شيء يماثل خروجه بالصدقة والإنفاق!

**الحقيقة الثامنة: استشعار المنفق أنه إنما ينفق في سبيل الله!**

وقد تكرر ذلك كثيراً في كتاب الله، سبق بعضها ويأتي بعضها أيضاً.

وإذا كان بعض الناس يبذل أمواله فيما يحبه محبوبه من الناس، فإن المسلم يبذل ماله في سبيل ربه سبحانه الذي هو أحب إليه من كل أحد! وإذا استشعر المؤمن المنفق أنه إنما ينفق في سبيل ربه: طابت نفسه بالإنفاق وازداد اقبالاً عليه.

**الحقيقة التاسعة: علم الله سبحانه بنفقة المنفق.**

وما يتضمنه ذلك من الجزاء العظيم عليها لمن طلب بها وجهه سبحانه. قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(٢٧٠)}[البقرة: ٢٧٠]. وقال سبحانه: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)} [البقرة: ٢٧٣]. وقال جل جلاله: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)} [آل عمران: ٩٢].

وحري بمن أيقن واستشعر علم ربه سبحانه واطلاعه على نفقته إن يحمله ذلك على مزيد من البذل والإنفاق.

**الحقيقة العاشرة: أن الله سبحانه يخلف على المنفق ما أنفق!**

قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) } [سبأ: ٣٩]

فلا يقتصر جزاء النفقة وثوابها على الآخرة، بل إن الله سبحانه يخلف على المنفق ما أنفقه في الدنيا.

ويقين المنفق بحقيقة أن الله سبحانه يخلف عليه نفقته: من أعظم ما يرغبه ويحمله على الصدقة والإنفاق.

**الحقيقة الحادية عشر: أنه يكتب للمنفق أجر نفقته صغيرة كانت أم كبيرة.**

قال تعالى: {وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)} [التوبة: ١٢١].

والإيمان بتلك الحقيقة يحمل المرء على المبادرة بالنفقة، وألا يحول بينه وبينها قلة أو كثرة!

وشأن الإنفاق هذا يدخل في عموم قوله تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧)} [الزلزلة: ٧]، وقد روي عن عائشة –رضي الله عنها– أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة[1]!

واستشعار تلك الحقيقة مهم؛ وذلك لأنه ربما زهد الشيطانُ قليل ذات اليد في أن ينفق من قليله، كما يخوّف ذا الكثيرِ الفقرَ لئلا ينفق من كثيره!

وقد قال الله سبحانه عن المنافقين: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)} [التوبة: ٧٩].

**الحقيقة الثانية عشر: أن أجر النفقة سيوفى للمنفق الصادق بالتمام من ربه سبحانه.**

قال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)} [البقرة: ٢٧٢].

وقال سبحانه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)} [الأنفال: ٦٠].

**الحقيقة الثالثة عشر: حقيقة الموت الذي لا بد أن يأتي على كل إنسان.**

قال تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: ١٠]

فتأمل كيف كان الإنفاق من أكبر أماني المحتضرين!

ومن أدرك أن حياته إلى نهاية: كان حرياً به أن يبادر بالإنفاق قبل حلول الموت فيود أن لو أُخر فيتصدق، وقد علم الآن ألا رجعة فليبادر!

## الحقيقة الرابعة عشر: حقيقة اليوم الآخر الذي هو كائنٌ لا محالة!

فمن آمن يقيناً باليوم الآخر وما فيه من أهوال، وعلم أن النجاة يومئذ تكون بالأعمال الصالحة، ومن أعظمها الإنفاق، كان حرياً به أن يتقيها بالإنفاق في سبيل الله.

ولذا –والله أعلم– جاءت تلك الحقيقة في سياق الترغيب بالإنفاق.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)} [البقرة: ٢٥٤].

وقال سبحانه: {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)} [إبراهيم: ٣١].

وبعد:

فالإنفاق في وقت الحاجة والمسغبة أعظم أجراً؛ لأنه أعم أثراً وأكثر نفعاً. وكذا الإنفاق من قلة أعظم أجراً من الإنفاق من كثرة، خاصة حين يستوي النفع.

ويشهد لذلك قول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)} [الحديد: ١٠]

ومع تفشي جائحة كورونا وما ترتب على تفشيها من آثار كبيرة صحية واقتصادية عامة وخاصة: فإن الحاجة إلى البذل والإنفاق مؤكدة مضاعفة، فحري بمن وسع الله عليه وبسط له في رزقه أن يذكر فضل الله عليه وإحسانه إليه فيشكره بالمساهمة في سد فاقات المحتاجين وتفريج كربات المكروبين لمن يعرف منهم، أو عن طريق المؤسسات الرسمية ذات العلاقة والجمعيات الخيرية المرخصة، وإن المرء بالصدقة والبذل في هذا الأيام يجمع بين الصدقة في وقت الحاجة (جائحة كورونا) والمواسم الفاضلة (رمضان)، فرحم الله امرأً بذل من ماله، وفرج الله بذلك همه ونفس كربه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ٤٦٢/٨.

رُوجع ليلة الخميس ١٤٤١/٩/٧